سِلْسِلَةُ : وُصُولِ التَّهَانِي بِتَفْرِيغِ أشْرِطَةِ الشِّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ هَادِي (12)

كَلِمَةٌ

في الحُبِّ فِي اللّهِ، والبُغْضِ فِي اللّهِ

للشيخ /

محمد بن هادي المدخلي

- حفظه الباري -

المُدرِّس في الجامعة الإسلامية

بالمدينة النبوية

(ألقاها عبر الهاتف يوم الاثنين 16/ رجب / 1439هـ)

(وهي كلمةٌ موجَّهة للإخوة بمسجد الرابطة الإسلامية بمدينة أمستردام الهولندية)

(نسخة مخرّجة الأحاديث)

بسم الله الرحمن الرحيم

الشيخ : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه، وأتباعه بإحسانٍ إلى يوم الدين ، أما بعد .

فإن من نعم الله – تبارك وتعالى – علينا وعليكم – معشر الأحبة – في هذه الأيام ما منَّ الله – سبحانه وتعالى – به علينا وعليكم جميعاً من نعمة هذه الوسائل ؛ التي حصل بها التواصل بين المسلمين ، فقد قَرُبَ البعيد ، وتواصل الكثير في الوقت اليسير، وأصبح الناس يسمع بعضهم بعضاً، بل ويرى بعضهم بعضاً على تباعد ديارهم، وتفاوت أقطارهم ، واختلاف أوقاتهم ، فالمسلم يرى أخاه، والأب يرى ابنه، والابن يرى أباه، في هذه الوسائل التي من الله – تبارك وتعالى- بها على عباده، فاستخدمها أهل الخير في الخير، واستخدمها أهل الشر في الشر.

وإن من أعظم ما تُستخدم فيه هذه الوسائل : الدعوةُ إلى اللهِ – تبارك وتعالى– ، والتواصي بالحق من خلالها، والتواصي بالصبر من خلالها، ومن هذه النعم : نعمة التواصل بين الإخوان ، والتذاكر فيما بينهم عبر هذه الوسائل، وذلك بإلقاء الكلمات، والدروس، والمحاضرات، ونحو ذلك، فهذه من أعظم النعم علينا وعليكم في هذه الوقت– معشر الأحبة– .

فالواجب علينا أن نشكر الله –جل وعلا– على هذه النعمة ، وأن نستخدمه في مرضاته –سبحانه وتعالى– .

وإنَّ من أعظم ما تُستخدم فيه هذه الوسائل –كما قلتُ– : نشر العلم ، والخير بين الناس .

وإنني –معشر الأحبة– أحب أن يكون الكلام معنا في هذه الدقائق المعدودة عن :

" الحب في الله ، والتآخي في الله - تبارك وتعالى- " .

أيها الإخوة الكرام :

إن العلاقات التي يربطها بنو الإنسان فيما بينهم تختلف بحسب أغراضها ومناشئها التي تُنشئ لها؛ فهناك علاقاتٌ يكون سببها النسب، وعلاقاتٌ يكون سببها المصالح الدنيوية، وعلاقاتٌ تقوم تربط بين بعض الناس يكون سببها الوسيلة الدينية، والرابطة الدينية، التي هي أعظم الوسائل ، وأقوى الوسائل .

وأعظم رابطة تقوم عليها الأُخُوَّة وتقوى فيها الأُخُوَّة هي : الأُخُوَّة في الله، المَبْنية على المحبة في الله – تبارك وتعالى – .

وقد جاء الله – سبحانه وتعالى – بهذه النور؛ نور الإسلام الذي اختص به من شاء من عباده – سبحانه وتعالى – ، ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [آل عمران:105] .

فجعل العلاقة الدينية أرفع العلاقات، وجعل سبب الدين أقوى الأسباب، فالعلاقة الدينية هي العلاقة القوية، والتي يترتب عليها مع النفع في الدنيا الأجر والثواب عند الله – تبارك وتعالى – في الآخرة .

و الأُخُوَّة في الله والحب في الله – تبارك وتعالى – هذه أعظم الأسباب، وأقوى الأسباب في التلاحم بين الناس .

فالمحبة في الله تعنى محبة المسلم لأخيه المسلم، لا لغرضٍ من الدنيا ، ولا لعَرَضٍ من أعراض الدنيا ، وإنما يحبه لما فيه من خصال الخير، ويحبه لما فيه من طاعة الله – تبارك وتعالى – ، ويحبه لما فيه من الاستقامة على أوامر الله – جل وعلا – ، فمحبته ليست قائمة بنسب، وليست قائمة على سبب دنيوي، لا مال، ولا وطن، ولا قبيلة، ولا غير ذلك، وإنما يحبه لله – تبارك وتعالى – ومن أجل الله – تبارك وتعالى – ، ولذلك تكون محبة هذه الصنف من الناس فيما بينهم أقوى أنواع المحبة، ويكون فضلها عليهم في الدنيا ، وفضلها عليهم في الآخرة .

فأما فضلها في الدنيا : فحصول التآزر، والتآخي، والتعاون، والتعاهد ، حسن التعاهد ، والتزاور، فبذلك تقوى

العلاقة .

وأما الثواب في الآخرة : فمحبة الله – تبارك وتعالى– ومنْ أحبهم الله – سبحانه وتعالى– وهم على هذا الصنيع في الدنيا وفّقهم للخير، وأثابهم عنده يوم القيامة .

وكما نعلم جميعاً حديث أبي هريرة – رضي الله عنه– : " أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى ، فَأَرْصَدَ اللَّهُ – يعني أقعد الله – عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكاً ، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ ، أو مَرَّ به، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ ؟ قال : أُرِيدُ أخاً لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، فَقَالَ له : هَلْ لَهُ عَلَيْكَ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا إليك ؟ قال: لا ، غير أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ– ، فقال له الملك : فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ ، أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ " [1] .

فانظروا إلى هذه المحبة الصادقة، ماذا أثمرت لصاحبها في الدنيا ، وماذا أثمرت له عند الله ، أثمرت لصاحبها في الدنيا أنه قام بسببها أن يواصل أخاه في القرية الأخرى، ليس في قريته، في قرية بعيدة عنه، فذهب إليه يزوره لا لشيء إلا لله، فأورثت هذه المحبة بينهما التواصل، فذهب زائراً له ، يتعاهده، ويتلمّس أخباره، وينظر أحواله، فقام لله – جل وعلا– لا يريد جزاءًا ولا شكوراً في هذه الدنيا ، فكان جزاؤه ما سمعنا : أن الله – تبارك وتعالى– أحبه – سبحانه– ، كما أحب هذا الأخ في الله – جل وعلا– لا يريد شيئاً على ذلك من الدنيا .

وهكذا أيضاً جاء في الحديث القدسي الصحيح عن ربنا – تبارك وتعالى– أنه قال : " قَالَ اللَّهُ : وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ " [2] ، أن يعطيك لله، لا يريد جزءًا على العطاء في الدنيا ، ويزورك لله، لا يريد أن تكافئه على هذه المزاورة، ويحبك لله ، لا يريد منك شيئاً على هذه المحبة، فهي في

---

[1] رواه مسلم في صحيحه برقم (2649) .

[2] رواه مالك في "الموطأ" برقم (1735)، وصححه الألباني في "صحيح الترغيب والترهيب" برقم (2581) .

ذات الله ولله، فليست معلقة بشيء من أمور الدنيا، فانظروا ماذا كان جزاؤها .

" وَجَبَتْ مَحَبَّتِي " : الله – سبحانه وتعالى – وهو المتفضِّل أوجب على نفسه محبة هؤلاء المتحابين فيه – سبحانه وتعالى– .

" وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ " : يزور أخاه لله، لا يريد منه شيئاً، يتعاهده، يتلمّس أخباره، ينظر في أحواله، هل يحتاج إلى شيء، هل يحتاج إلى معاونة في الدنيا، يحتاج إلى مساعدة في الدنيا، فإن المزاورة هذه التي تحصل، تحصل بها تفقد حال أخيك، الذي أحببته لله – تبارك وتعالى– فإذا رأيت له حاجةً بذلت له ما تستطيع في قضاء حاجته، وإذا رأيته بحاجة إلى معاونة بذلت له ما تستطيع في معاونته على الخير والحق والهدى، فالله – سبحانه وتعالى – يثيبك هذه المثوبة العظيمة : " وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ " .

بل وجاء عند مالك في " الموطأ " : " وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ ": يعني يجلسون لا يجمعهم إلا الأُخُوَّة في الله – تبارك وتعالى – لا يجلسون ولا يجتمعون على أمرٍ من أمور الدنيا، ولا لغرضٍ من أغراض الدنيا، ولا لسببٍ من أسباب الدنيا، ولا لحطام الدنيا الفاني، وإنما يتجالسون في مجلسهم لله –جل وعلا– ، جَمَعَتهم المحبة في ذات الله – تبارك وتعالى – .

وإذا كان الأمر كذلك ، فلنبشر أيها الأخوة بما جاء في الصحيحين [1] : " أَنَّ الله – جل وعلا – يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي ، الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي " .

"يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي " : يعني لله – تبارك وتعالى – " الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي " .

[1] لعل هذا من الشيخ – حفظه الله– سبْقُ لسانٍ ، وإنما الحديث عند مسلم في صحيحه برقم (2566) ، ولا يوجد عند البخاري .
وقد راجعتُ الشيخ فيها فقال : بل في مسلم ، فتصحح .

وهكذا ما جاء في السبعة الذين يُظِلُّهم الله فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ ، ومنهم : " وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ، وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ " [1] .

وقد قال -عليه الصلاة والسلام- : " لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا" ، هذا حديثٌ صحيح، عنه – عليه الصلاة والسلام – خرَّجه مسلم في صحيحه [2]، يقول النبي – صلى الله عليه وسلم- في هذا الحديث : " لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا" : يعني تحابوا في الله – تبارك وتعالى – .

فينبغي لنا -معشر الأحبة- أن نعتني بهذا الجانب ؛ جانب المحبة في الله – تبارك وتعالى –، وذلك بأن نختار مَن نؤاخيه، ونصاحبه، ونجالسه، لأنَّ النبي – عليه الصلاة والسلام- كما سمعنا في هذه الأحاديث السابقة قد رتَّب ذلك الثواب ، ورتَّب ذلك الأجر على هذه الخصلة العظيمة، وهي خصلة المحبة في الله – تبارك وتعالى – ، وسمعنا ما تقدم في الأحاديث القدسية عن الله – جل وعلا- .

فلا ينبغي للإنسان أن يصرف هذه المحبة إلا لمن يستحقها، فعليه أن يختار صاحبه الذي يؤاخيه لله – جل وعلا- وفي الله – سبحانه وتعالى- ، فيعتني بمن يكون أهلاً لهذه .

النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول : " الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ " [3] .

فعلينا -معشر الأحبة – أن نختار أصحاب الدين والتقوى، ومَن كان كذلك هذا هو الذي يستحق أن نؤاخيه، وأن نصافيه، وأن نجالسه، وأن نزوره، وأن نحرص على أُخُوَّته، وعلى استدامتها، وصاحب الدين والتقوى هو الذي يُحَب .

---

[1] رواه البخاري في صحيحه برقم (660) ، ومسلم في صحيحه برقم (1031) .

[2] برقم (54) .

[3] رواه أبو داود في " سننه " برقم (4833) ، والترمذي في " جامعه" برقم (2378) ، وصححه الألباني في " السلسلة الصحيحة " (633/2) برقم (927) .

ومن العلامات التي نعرف بها صاحب الدين والتقوى : أن نرى حرصه على فرائض الله - تبارك وتعالى- كالصلاة، ونحوها، واستقامته على الطاعات، وبُعدِه عن الرذائل، وبعده عن الفواحش، وهكذا .

فينبغي لنا أن ننظر إلى صاحب الدين ، وتكون أخوتنا له لدينه ، يقول النبي - صلى الله عليه وسلم- : "لا تُصَاحِبْ إِلا مُؤْمِنًا، وَلا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلا تَقِيٌّ" كما في أبي داود [1] .

فإذا كان هذا هو المصاحَب : فيجب عليك أن تبذل الغالي والنفيس حتى تحصّله، وتؤاخيه في الله - تبارك وتعالى- وتَشدد عليه بيديك إذا وجدته، وأن تتمسك به، وأن تبذل كل ما تستطيع في استدامة أخوته، فإذا كان عاقلاً قائماً بأوامر الله فهذا هو الذي يجب عليك أن تؤاخيه، وأن تصافيه، وأن تصاحبه، وأن تجالسه، وأن تزاوره، فلا خير في صحبة الأحمق؛ لأنه يضرك من حيث يريد أن ينفعك :

لا تصحبن الأحمقا المائق الشمقمقا

عدو سوء عاقل ولا صديقٌ جاهلُ

فالأحمق لا خير في صحبته؛ لأنه قد يريد نفعك فيضرك .

رَامَ نَفْعاً فضرَّ مِنْ غَيْرِ قصْدِ . . . . . وَمِنَ البِرِّ مَا يَكُونُ عُقُوقَا

فعليك أن تختار صاحب الدين والعقل، وأن تختار صاحب الأخلاق الحسنة، فسيئ الخُلق يصلك ضرره، - نسأل الله العافية والسلامة- ، ضرره إليك واصل، ولو لم يكن من أضراره إلا أنك ربما يُعديك لسوء خُلُقه، أو يعديك الثناء السيئ بسبب صحبتك له، فيقال عنك هذا صاحب فلان، وفلانٌ سيئ، ولو كان فيه خيراً ما صاحبه، يكفيك هذا .

فاحرصوا - معشر الأخوة- على أن تكون هذه الأخلاق الجميلة والحسنة منكم في محل الاهتمام، وأن

[1] برقم (4832) .

تكون لديكم في محل الرعاية، فلا تصحبوا إلا أصحاب الأخلاق المستقيمة، والآداب القويمة، وابتعدوا كل البعد عن مؤاخاة سيئ الأخلاق؛ فإنهم يُعدون – نسأل الله العافية والسلامة– .

واحذرْ مُصاحبةَ اللئيم فإنّهُ . . . يُعدي كما يُعدي الصحيحَ الأجربُ

وعليكم أن تختاروا أصحاب السنة، فتصحبوهم، وتحذروا أصحاب البدع ، فأصحاب البدع صحبتهم شر، فإنهم إما أن يجروكم إلى بدعهم، وإما أن يهدوكم ويشوشوا على قلوبكم – نسأل الله العافية والسلامة – .

فينبغي – معشر الأحبة– أن نحرص على هذه الأخوة؛ لا تكون إلا لأهلها، ولا تصرف إلا لأهلها، ولا يتعاون إلا مع أهلها .

وليُعلم أنَّ من أعظم هذه الثمار التي تُجنى من هذه الأخوة في الله ما ذكرنا، من محبة الله تبارك وتعالى للعبد ، ومن إدخاله الجنة، ومن رضاه تبارك وتعالى– عن أصحابها ، وإذا كانت هي الثمار فليُعلم أنه يجب على العاقل أن يحرص عليها ، وإذا لم يحرص عليها فإنه ليس بعاقل– والله – ، فللأخوة آثارٌ عظيمة، وثمار عظيمة في الدنيا والآخرة، والمرء لا يمكن أن يعيش في هذه الحياة بمفرده، لا بد له من إخوان يستعين بهم في دنياه على أمور دنياه، ولا بد له من إخوان في دنياه يستعين بهم على أمور آخرته أيضاً ، يعينونه على عبادة الله، وعلى طاعة الله –جل وعلا– ويَشدُّون من أزره .

فأوصيكم – معشر الإخوة – أن تعتنوا بذلك مع إخوانكم ، أن تلينوا مع إخوانكم الذين أحببتموهم لله، وأحبوكم لله، فتغضوا الطرف عن مسيئهم ، وتتجاوزوا عن ما يحصل منهم من الهفوات إن هم أساؤوا إليكم في يومٍ من الأيام ، أو وقتٍ من الأوقات، فإنه لا تستدام الصحبة إلا بذلك .

أوصيكم بلين الجانب مع إخوانكم الذين أحببتموهم في الله وأحبوكم في الله، فإن لين الجانب

يورث استدامة المحبة، والغلظة والجفاء تورث البعد والنفرة، وانقطاع المحبة- عياذاً بالله من ذلك- .

فللأخوة – معشر الأحبة- آداب، والقيام بهذه الآداب يشعر بصدق هذه المحبة في الله – تبارك وتعالى- .

فإذا غفلنا عن هذا – أحبتي في الله – كان ذلك سبباً لانقطاع المحبة بيننا وبين إخواننا الذين أحببناهم لله – جل وعلا- .

فعليكم- معشر الإخوان- أن تحرصوا على الأسباب التي تديم بينكم هذه الأخوة ، وتديم بينكم هذه المحبة، فمن ذلك : التواصل بالسلام، والزيارة، واللقاء، وألا نستسهل شيئاً أو نحتقر شيئاً من أعمال البر، لو بالمهاتفة مع أخيك، يومين ثلاثة أسبوع وتسلم عليه، وهو هكذا يوم يومين ثلاثة أسبوع ويسلم عليك، ويتصل بك، فلا تحتقر هذا الأمر الذي تراه أنت يسيراً ، وتُفرِّط فيه ، ثم يورث بعد ذلك الجفاء على غفلةٍ منك ، وعدم انتباه منك، أو غفلةٍ مني، وعدم انتباهٍ مني، وعدم مراعاة لهذا الجانب .

فإن طول الانفصال يورث الجفاء ، والنبي -صلى الله عليه وسلم- يقول : " لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ " كما في صحيح مسلم [1] .

فالتعاهد بالسلام ، والاتصال ، والسؤال له دوره، يؤكد هذه المحبة ، ويقوّي هذه الرابطة، وأيضاً الزيارة – كما تقدم قبل قليل – إن حصلت لك الزيارة فهي أحسن، ولو حصل مع الزيارة الهدية فهذا طيب، فالهدية مثلاً لها أثرٌ كبير في زيادة المحبة بين الإخوان، وإذهاب ما في النفوس ، قال – عليه الصلاة والسلام – : " تَهَادُوا تَحَابُّوا " [2]، وكلنا يعرف هذا الحديث .

وليس المراد بالهدية أن تكون ثمينة وغالية، ولو تهديه شيئاً من الأمور اليسيرة؛ كسواك، وقلم، ونحو ذلك،

---

[1] برقم (2626) .

[2] رواه البخاري في " الأدب المفرد " برقم (594) تحقيق الألباني ، وحسّنه الألباني في "صحيح الجامع" برقم (3004) .

فإنه الهدية المراد منها : إظهار ما في النفس من المحبة ، والاحترام لهذا الأخ الذي أحببته لله – جل وعلا– فهذا يقع في النفس موقعاً – معشر الإخوان– ويقوّي الأُخُوة ، ويقوّي العلاقة، ويقوّي الروابط، فإن النبي – عليه الصلاة والسلام– يقول : " تَهَادُوا تَحَابُّوا " ، والهدية تذهب ما في النفوس تُذهب السخينة التي في النفوس .

وأيضاً من أسباب إدامة الأُخُوة والمحبة : الدعاء لأخيك المسلم بالخير، فإن هذا يعود عليه وعليك، كما قال النبي – صلى الله عليه وسلم – : " مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، إِلَّا قَالَ الْمَلَكُ: وَلَكَ بِمِثْلٍ " [1] ، فهذا يصله من الله، ويصلك من الله، فيصلك من الله الثواب، ويصله من الله ما يلقيه الله –جل وعلا – في قلبه من المحبة لك، بسبب ما قمت له أنت من الدعاء في ظهر الغيب بالخير، فإن الله يوصل ذلك في قلبه بأن يلقي المحبة لك في قلبه .

وأيضاً : ينبغي للإنسان أن يحرص على إخبار أخيه إذا وجد له المحبة في قلبه فيقول له : والله إني لأحبك، كما قال النبي – صلى الله عليه وسلم – : " إِذَا أَحَبَّ الرجلُ " – أو أَحَدُكُمْ أَخَاهُ، لا أدري قال : الرجل أو أحدكم أخاه – ، " فَلْيُعْلِمْهُ أَنَّهُ أَحَبَّهُ " [2] ، أو فليخبره أنه أحبه، فيقول له : إني أحبك في الله ، كما قال النبي – صلى الله عليه وسلم– لمعاذ : " وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، فَلَا تَدَعَنَّ أَنْ تَقُولَ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ " [3] ، هذا ينبغي للمسلم أن يقوله لأخيه، وأن يخبره به، فإن هذا ينتج عنه تقوية الرابطة ، وينتج عنه أُنس الإنسان حينما يسمع ذلك منك في حقه، فتقول له : إني أحبك في الله، والواجب عليه أن يرد عليك فيقول : أحبك الله الذي أحببتني فيه، هذا لا بد منه، وعلى الإنسان أن يحرص على هذا .

---

[1] رواه مسلم في " صحيحه " برقم (2732) .

[2] رواه الترمذي في " جامعه " برقم (2392) بلفظ : " إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ، فَلْيُعْلِمْهُ إياه " ، ورواه أحمد في " المسند " برقم (17171) بلفظ : " إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ، فَلْيُعْلِمْهُ أَنَّهُ يُحِبُّه " .

[3] رواه أبو داود في " سننه " برقم (1522) ، والنسائي في " سننه " برقم (1303) .

وهكذا على الإنسان إذا كان صادقاً في محبته، والمحبة لله دائماً صاحبها صادق ، يسعى في معونة أخيه الذي أحبه لله، فإن احتاج أعانه على قضاء حاجته، وقدّم حاجته على حاجة نفسه، ويقوم بقضاء حوائجه ، ويعينه على قضائها، وإذا طلبه المعاونة تأكد وتأكد .

وهكذا - معشر الأحبة- أيضا من أعظم الآداب التي تكون بين المتحابين في الله : ستر المعايب، وحفظ الأسرار، **وهذا ما أقله في هذا الزمان** - يا إخوتي- ، ما أقله في هذا الزمان ، فإن أخاك مهما كان لا بد وأن تحصل منه الهفوة، وأن تحصل منه الزلة، وأن يحصل منه الخطأ، وأن يحصل منه التقصير، إما في حقك، وإما في حق بعض أهله، وإما في حق الله- جل وعلا- ، ويقع في شيء من هذا .

فالواجب عليك إذا رأيت منه ذلكم أن تستر معايبه، وأن تنصحه، وأن تتعاهده بذلك، وأن تقوم على الإحسان إليه بالأخذ بيده، حتى تخرجه من هذه المعايب التي وقع فيها، وأن تحفظها عليه، فتغطيها ، ولا تفشيها، وأن تحفظ سره، وأن تقوم له بالحق في هذا، بحق النصيحة بأدب ، وستر، وأن تدفع عن عرضه، هذه كلها من الأخلاق التي يجب أن تكون بين المتحابين في الله - تبارك وتعالى- .

وهذا الباب قد قلّ القيام به في هذا الزمن، فإذا آخيت أخاً في الله - جل وعلا- ، حصل بينك وبينه يوماً ما شيءٌ من اختلاف أو نحو ذلك في الرأي، لا في الدين- يا معشر الأحبة - انظروا إلى قولي : في الرأي، اختلفتَ أنتَ وإياه في رأي، فضح الذي كان منك، ولم يحفظ سرك، فنعوذ بالله من شخصٍ هذه حالته، ونعوذ بالله من شخص هذه أخلاقه، ونعوذ بالله - جلا وعلا - من شخصٍ هذه آدابه، نعوذ بالله من شخصٍ هذه طريقته، وهذه سُنته، ونعوذ بالله من شخصٍ هذه طريقته، فإن مثل هذا والله لا ينبغي أن يُعاشر، الذي يفضح المعايب، ولا يحفظ الأسرار، ولا يقوم بحق الصحبة والأُخُوة، فلا هو ينصح بأدب، ولا هو يستر - نسأل الله العافية - من ذلك كله.

وأيضاً من حق أخيك الذي أحببته في الله وأحبك في الله : الدفاع عن عرضه، فإذا انتُهك عرضه تدافع عنه بما تعلمه عنه من الخير، وتعلمه عنه من حسن الأخلاق، وتعلمه عنه من استقامة الدين، فيجب عليك أن تقوم بذلك .

ومن حقه أيضاً : أن تصفح كما قلت عن زلاته .

ومن حقه أيضاً : أن تحسن إليه، فإن زل فإن أخطأ تأخذ بيده حتى يتجاوز هذا الخطأ، وتقوم معه حتى تسدده، وتوفقه، وتقومه، وتثبته على الحق، لا أن تتركه على الباطل، لا أن تتركه على الخطأ، هذا هو الواجب -معشر الاحبة- .

وأعظم من ذلك كله : الدعاء له بظهر الغيب ، -كما قلنا قبل قليل- ، بأن يوفقه الله لكل خير، وأن يسدده، وأن يحفظه من كل شر، وأن يعينه على أمور دينه ودنياه، تحب له كما تحب لنفسك .

فتدعوا الله - تبارك وتعالى- له بالخير، وتدعوا الله - تبارك وتعالى- له بالصلاح، فإن الأخ المُحب هو الذي يقوم معك في ذلك كله .

وما يمكن أن يكون إلا ناصحاً لك، باذلاً لك، لأن المؤمن يألف ويُؤلف، والذي يألفك هو الذي ينصح لك، ولا خير فيمن لا يألف ولا يُؤلف .

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: 71] .

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ [الحجرات:10] ، يقول الله -جل وعلا- .

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ فمتى ذُكرت هذه الأُخوة ذُكر بعدها الإيمان، وهذا يدل على أن الأُخوة الإيمانية ليست كغيرها، ليس كأُخوة أهل الدنيا، فبأُخوة الإيمان المؤمنون كالجسد الواحد ، فإذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم- .

فأنت إذا رأيت أخاك الذي تحبه حباً صادقاً لله قد وقع منه ما وقع ، ما ترضى لك ذلك، بل ترحمه، وتعطف عليه، وتبقى معه حتى تأخذ بيده، فتخرجه من الخطأ، وتستر عليه ذلك .

"مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ" - يعني المحبة - ، "وَتَرَاحُمِهِمْ" ، انظروا إلى قوله - عليه الصلاة والسلام - بعد ذلك " وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ الواحِدِ ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ شَيْءٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى " [1] ، فإذا وقع أخوك فأنت تحزن، إذا وقع فيما يُسيء فأنت تحزن لذلك، لأن هذا يهزُّه ، وهذا يضعفه .

فتحرص أنت على شده، وشد أزره، وذلك بإخراجه مما وقع فيه من هذا الخطأ الذي يُضعف أخوة الإسلام - معشر الأحبة - ، أقوى الأخوة، لأنها باقية، ولأنها تثمر الإيمان وكمال الإيمان .

"أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ الْحَبُّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ" [2] ، وتثمر كذلك الجلوس على منابر من نور يوم القيامة على يمين الرحمن ، كما أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - [3] ، وهذه المحبة أصحابها يغبطهم الأنبياء والشهداء ، كما قال ذلك - عليه الصلاة والسلام - .

فينبغي لنا - معشر الأحبة - أن نحرص على هذا ، وأن نبتعد كل البعد عمن لا يستحق أخوتنا لله - تبارك وتعالى - ، وأن نصافيه في الله - تبارك وتعالى - ، وأن نجالسه لله - تبارك وتعالى -، وأن نزاوره لله - تبارك وتعالى - فنبتعد عمن لا يستحق هذا ، ونكون فيما بيننا متعاطفين، متراحمين .

ولنعلم أنه إذا لم يغض الطرف المرء المسلم عن تقصير أخيه في بعض الأحيان، أو عن أخطائه في حقه لم تستدم الصحبة ، ولم تستدم الأخوة، ولن تستدام الأخوة في الله - تبارك وتعالى - بالحرص على الحقوق

---

[1] رواه البخاري في "صحيحه" برقم (6011) ، ومسلم في "صحيحه" برقم (2586) .

[2] رواه ابن أبي شيبة في "المصنف" (80/7) ، وحسنه الألباني في "صحيح الترغيب والترهيب" برقم (3030) .

[3] رواه الترمذي في "جامعه" برقم (2390) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : " الْمُتَحَابُّونَ فِي جَلَالِي لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ " ، وصححه الألباني في "صحيح الترغيب والترهيب" برقم (3019) .

والمشاحة في هذا، وليعلم أن العبد لا بد وأن يكون فيه النقصان، لا بد أن يكون فيه التقصير، فإذا لم ترضى عن أخيك في هذا الجانب وتصفح فإن الأخوة لا تدوم، وإذا كنت صادقاً في دعواك أن محبتك له إنما هي في الله فأمور الدنيا لا تؤثر عليها بإذن الله – تبارك وتعالى– .

فأوصيكم – معشر الأخوة – بالمحبة فيما بينكم، والتآخي فيما بينكم، والترابط فيما بينكم، وهذه ثمار المحبة.

ومن أعظم ثمار المحبة بالذات عندكم في بلاد الغرب: ترابط المسلمين فيما بينهم، هذا أولاً .

وظهور وحدتهم أمام الكفار، هذا ثانياً .

وثالثاً : إظهار محاسن هذا الدين أمام الكفار، فهم لا يعرفون الترابط، وحينما يرون هذا الترابط بين المسلمين يؤثر ذلك فيهم، ويثمر بعض الأحيان إسلام بعضهم، ممن آتاهم الله العقول الرجيحة، فيتأثرون بذلك.

ومن ثمار هذه المحبة والأخوة في الله – تبارك وتعالى– : القيام بأمر الدعوة، وهذا هو أهم شيء، فإنه إذا تكاتف الإخوة المتحابين في الله –جل وعلا– تكاتفوا على الخير، وتعانوا على الخير، وتعاونوا على البر والتقوى: قاموا بالدعوة إلى الله – تبارك وتعالى– لإنقاذ من يرونه أمامهم من هؤلاء الذين ضلوا عن الحق والهدى، سواء من الكفار الأصلين ، أو من المسلمين الذين إنماعوا في هذه المجتمعات الغربية، وأنتم أعلم بها مني ، وترون فيها ما لا أرى، وتعلمون ما لا أعلم، فإذا قامت هذه الأخوة بينكم، وهذا الترابط بينكم أثمر الشفقة على هؤلاء المسلمين الذين ماعوا وذابوا في هذه المجتمعات الغربية .

فتعيدونهم إلى الحق، وتتعاون جميعاً على ذلك، فترحمون الخلق بإعادتهم إلى الحق – تبارك وتعالى– والاستقامة على الحق، وهذا يا –معشر الحبة– لا يمكن أن يأتي على فرد واحد، ما يكون إلا على أيدي إخوة يتعاونون

في الله – تبارك وتعالى –، ويحرصون على هداية الناس .

فأوصيكم – معشر الأحبة – : باللين ، بلين بعضكم لبعض في هذا الجانب، بإخوانكم، فتتعاونون معهم في هذا الباب، وألا يأخذ الإنسان بحق نفسه، ويتشدد في هذا الجانب، فربما أدى ذلك به إلى جفوة بعض إخوانه ومحبيه .

وَما المَرءُ إِلا بِإِخوانِهِ . . . كَما كانت الكَفُّ بِالمعصمِ

وَلا خَيرَ في الكَفِّ مَقطوعَةً . . . وَلا خَيرَ في الساعد الأَجزمِ

الساعد المريض الضعيف الذي أصيب بالجذام لا تسطيع كفه أن تحمل أن ترفع، وهكذا المسلم إذا كان ضعيفاً ما يستطيع، والمرء بمفرده ضعيف، وبإخوانه قوي – بإذن الله – تبارك وتعالى –، وبنفسه قليل ، وبإخوانه كثير، فبهذا يقوى الإخوة، وبهذا يحصل الترابط بين الأخوة ، فأوصيكم – معشر الأحبة – بهذا ،

وَما المَرءُ إِلا بِإِخوانِهِ . . . كَما كانت الكَفُّ بِالمعصمِ

ما تقوى الكف إلا إذا كان معصمها قوياً صحيحاً شديداً ، أما إذا كان المعصم – الذي الكف فيه وهو نهاية الساعد – إذا كان مريضاً ضعيفاً كانت الكف ضعيفا ، فلا تقبض، ولا تبسط، ولا تدفع، ولا ترفع، فهكذا أنت بالنسبة لك مع إخوانك، فإذا كنت مع إخوانك قويت ، وإذا كنت بمفردك ضعفت .

فأوصيكم – معشر الأحبة – أن تتعاونوا، وأن تتحابوا ، وأن تتآخوا فيما بينكم .

وأوصيكم أيضاً : أن يتعاهد بعضكم بعضاً، وأن يزور بعضكم بعضاً، وأن يتصل بعضكم ببعض، وأن تتبعدوا عن أسباب الفرقة التي تفرقكم ، وأن تسعوا في أسباب الألفة التي تجمع بينكم ، فتتعاطفوا وتتراحموا، وتتعاونوا .

أسأل الله – سبحانه وتعالى – بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يجعلنا وإياكم ممن يقول القول ويتبع أحسنه،

كما أسأله – سبحانه وتعالى – أن يوفقنا وإياكم للفقه في الدين والبصيرة فيه .

وأسأله – جل وعلا – أن يثبتنا وإياكم جميعاً على الحق والهدى وعلى الإسلام والسنة حتى نلقاه .

كما أسأله – سبحانه وتعالى – أن يعيذنا وإياكم جميعاً من مضلات الفتن ، ما ظهر منها ، وما بطن ، وأن يوفقنا وإياكم للعلم النافع ، والعمل الصالح ، وأن يصلح أعمالنا وأعمالكم ، وأعمال إخواننا المسلمين أجمعين في كل مكان ، إنه جوادٌ كريم .

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان .

الشيخ : عليكم السلام ورحمة الله ، تفضل [1] .

[1] الأسئلة لم تفرّغ ، إنما اكتفيتُ بمادة المحاضرة .